**المحاضرة السادسة:**

**مفهوم النثر في التراث النقدي**

**تطور النثر العربي:**

النثر لغة -كما ورد عن صاحب اللسان-: ''النثر نَثرُكَ الشيءَ بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسکر وکذلك نثر الحبّ إذا بُذر ''.

### أما اصطلاحاً فهو الكلام من دون وزن، ويتفرع لنوعين: النثر العادي. وهو الكلام الحاصل بين العامة من دون تنبه لعلامات البلاغة ومحسناتها، والنثر الفني، وهو أدب وفن ومهارة وبلاغة، ويشمل القصص والرسائل الأدبية المحبرة، والكتابة التاريخية المنمقة، والمقامات، والخطب البليغة، وغيرها.

### نشأة النثر الفني:

يجد الباحث عنتا كبيرا حينما يحاول تحديد الوقت الذي نشأ فيه النثر الفني في الثقافة العربية، والسبب في ذلك عدم توفر المصادر الكافية التي تسعفه للخروج بنتيجة موثوق بها، خاصة وأن ظروفا كثيرة تعترض سبيله أهمها: عدم توفر وائل التدوين في العصور العربية الجاهلية، وانتقال النصوص الأدبية شفاهية لأزمنة طويلة. ومع ذلك فقد اجتهد عدد من الدارسين في تحديد سنة ميلاد النثر الأدبي العربي القديم، وقد اختلفوا في ذلك بين قائل بأن النثر العربي قديم منذ العصر الجاهلي، ويمثلهم زكي مبارك وآخرون، وبين من أرجع ميلاده إلى عصور التدوين المتأخرة وبالإسلام، وهؤلاء أنصار طه حسين.

(ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956/ محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة/ زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية القاهرة، 1352هـ، 1934م).

### ومهما اختلفت الآراء، فإن المؤكد أن النثر العربي عرف تطورا ملحوظا عبر العصور الإسلامية لأسباب حضارية، حيث تطورت الكتابة، وصارت ضرورة اجتماعية وعلمية وإدارية ملحة في الدواوين المختلفة.

# النقد القديم والنثر الفني:

مما تنبغي الإشارة إليه أن القدامى أطلقوا على النثر مصطلحات كثيرة أبرزها: المنثور والكلام و الكتابة. وهي مصطلحات قد تبدو متباينة من حيث دلالاتها. ثم جعلوا المنثور يباين المنظوم ويخالفه، يقول ابن خلدون: ''وإنما المقصود منه [أي من علم الأدب] عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب و مناحيهم''

(مقدمة ابن خلدون، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، 1425 هـ ـ 2005 م، ص: 55).

ويتفرع المنثور إلى أنواع مختلفة. جاء في كتاب (البرهان): ''فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه''.

(أبو الحسين إسحاق بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تق وتح حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة، الطبعة الأولى 1969، ص: 15).

وقال أبو هلال الكلام: ''أجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل، والخطب، والشعر. وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب''.

(أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1401 هـ ـ 1981 م، ص: 179).

وجاء عن ابن خلدون قوله: ''اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنيين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى... وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام''.

(مقدمة ابن خلدون، ص: 565).

وتتميز الكتابة عن الكلام، بعدة مميزات، قال العسكري: ''الكلام أيدك الله، يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه...''.

(أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ص: 69).   
وقال محددا شروط كتابة الرسائل: ''فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك... مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في المنطق''.   
( كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 172).

فالكاتب مطالب، في رسائله، بمراعاة الأحوال الاجتماعية والقدرات العقلية.

كما اتخذت عملية تصنيف النثر في النقد العربي أبعادا أخرى تبعا لزوايا النظر، وللمعايير المعتمدة من قبل الدارسين، ومنها معيار الإيقاع. يقول ابن خلدون: ''وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا؛ ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا... بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها''.

(مقدمة ابن خلدون، ص: 565 ، 566).

ومنها معيار الدين. يقول ابن عبد الغفور الكلاعي: ''ورأيي أن القريض قد تزين من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية، صار بها أبدع مطالع، وأصنع مقاطع، وأبهر مياسم، وأنور مباسم. وأبرد أصلا، وأشرد مثلا، وأهزّ لعطف الكريم، وأفلّ لغرب اللئيم. لكن النثر أسلم جانبا، وأكرم حاملا وطالبا''

(ابن عبد الغفور الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، ص: 36).

**خلاصة وتقييم:**

اعتقد النقد العربي القديم أن النثر العربي القديم فن وأدب وبلاغة تميز بها العرب عن غيرهم، فأبدى اهتمامه به بضبطه بما يلائمه من المعايير والمقاييس المناسبة، سواء تعلق الأمر بالشكل أو بالمضمون، واختلفت النظرة إليه باختلاف موقف صاحبه من الشعر ووظيفته.

**مراجع للتوسع:**

1-مقدمة ابن خلدون، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، 1425 هـ ـ 2005 م.

2-أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تق وتح حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة، الطبعة الأولى 1969.

3-أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1401 هـ ـ 1981 م.

4-أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي: إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، تح رضوان الداية، دار الثقافة بيروت 1966.

5-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956.

6-محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

7-زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية القاهرة، 1352 هـ، 1934م.